

تناسب فاتحة سورة مريم - عليها السلام - بخاتمها : دراسة موضوعية

د. عمر حسن العبدلي

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
المملكة العربية السعودية

dr.omaralabdali44@gmail.com

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٥/٦/١٥ م

تاريخ تسلم البحث: ٢٠٢٥/٥/٢٥ م

#### المخلص:

يتناول هذا البحث تناسب فاتحة سورة مريم - عليها السلام - بخاتمها: دراسة موضوعية، حيث يستعرض البحث كيفية ارتباط مطلع السورة بخاتمها بأسلوب بلاغي محكم يعكس وحدة البناء القرآني وترابط الموضوعات المطروحة فيها.

يهدف البحث إلى إبراز الإعجاز البلاغي في ترتيب الآيات، والكشف عن الحكمة الإلهية في تقديم الموضوعات وتأخيرها، إضافة إلى بيان أثر هذا التناسب في تفسير السورة واستنباط مقاصدها، وقد أظهرت الدراسة كيف أن السورة تبدأ بالحديث عن رحمة الله واستجابة دعاء زكريا - عليه السلام -، وتختتم بتأكيد التوحيد وإنكار نسبة الولد لله، مما يؤكد الترابط القوي بين بدايتها ونهايتها.

وتتطرق الدراسة إلى عدة محاور، منها دلالات البشارات في السورة، والتوازن بين ذكر المؤمنين والمكذبين، إضافة إلى أثر هذا التناسب في فهم السورة وتفسيرها، كما يقدم البحث نتائج مهمة حول الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ويوصي بضرورة التدبر في الترتيب القرآني لفهم أعمق لمعاني القرآن الكريم.

**الكلمات المفتاحية:** التناسب، فواتح السور، خواتم السور، سورة مريم.

## The Appropriateness between the Opening and Closing Verses of Surah Maryam (Peace Be Upon Her): an Objective Study

Dr. Omar Hassan Al-Abdali

Assistant Professor, Department of Tafsir and Qur'anic Sciences, Faculty of Qur'an, Islamic University of Madinah, Saudi Arabia

dr.omaralabdali44@gmail.com

Date of Receiving the Research: 25/5/2025    Research Acceptance Date: 15/6/2025

### Abstract:

*This research explores the appropriateness between the opening and closing verses of Surah Maryam (peace be upon her) through an objective study. It examines how the beginning of the surah is intricately connected to its ending using a refined rhetorical approach that reflects the unity of Quranic structure and the coherence of the themes presented within.*

*The study aims to highlight the rhetorical miracle in the arrangement of verses, uncover the divine wisdom behind the sequence of topics, and clarify the impact of this correlation on the interpretation of Surah Maryam and the extraction of its doctrinal and legislative objectives. The findings demonstrate that the surah begins with God's mercy and the acceptance of Zakariya's prayer and concludes with the affirmation of monotheism and the rejection of attributing offspring to God, reinforcing the strong connection between its opening and closing verses.*

*The study addresses several key aspects, including the significance of divine glad tidings in the surah, the balance between mentioning believers and disbelievers, and the influence of this correlation on understanding and interpreting the surah. Furthermore, the research presents important findings on Quranic rhetorical and legislative miracles and emphasizes the necessity of contemplating the arrangement of Quranic verses for a deeper understanding of their meanings.*

**Keywords:** Appropriateness, Opening Verses of Quranic Surahs, Closing Verses of Quranic Surahs, Surah Maryam.

## المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:  
فالتناسب بين فواتح السور وخواتمها في القرآن الكريم من الظواهر البلاغية التي تحمل دلالات عميقة تعكس انسجام المعاني وترابطها ضمن السورة الواحدة، ففواتح السورة غالباً ما تتضمن موضوعات رئيسة تمهد لما سيأتي من أحداثٍ ومعاني، بينما تشكل الخواتيم خلاصات محكمة تؤكد على الرسائل الأساسية وتدفع القارئ للتأمل والتدبر، ومن بين السور التي تتجلى فيها هذه الظاهرة بوضوح، سورة مريم -عليها السلام-، لهذا جعلتها موضوع دراستي في هذا البحث.

## أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن دراسة التناسب بين فواتح السور وخواتمها تعد من المحاور المهمة في علوم القرآن الكريم، حيث تكشف عن وحدة البناء القرآني وترابط الآيات في سياق متكامل يخدم أهداف السورة، كما أن فهم هذه الظاهرة يساعد الباحثين والمفسرين على إدراك المقاصد العميقة للآيات، مما يسهم في استنباط دلالات جديدة تبرز جوانب الإعجاز البلاغي والتفسيري للقرآن الكريم، وسورة مريم -عليها السلام- تأتي كنموذج مميز لهذه الظاهرة، لما تحمله من معاني ترتبط بالرحمة الإلهية والندارة الربانية، مما يجعل دراستها ذات قيمة علمية تضيف إلى الأبحاث القرآنية رؤية أكثر عمقاً وشمولاً.

ويسعى هذا البحث إلى دراسة التناسب بين فواتح السور وخواتمها، واتخاذ سورة مريم -عليها السلام- نموذجاً تطبيقياً يبرز التكامل الموضوعي والبلاغي بين بدايتها ونهايتها، كما يتناول البحث أثر هذا التناسق في تفسير السورة واستنباط مقاصدها، مستنداً إلى أقوال المفسرين والباحثين في علوم القرآن الكريم.

## أهداف البحث:

- الكشف عن الروابط بين فاتحة سورة مريم وخاتمها.
- تحليل أثر التناسب في فهم السورة وتأويلها.
- بيان دور الفواتح والخواتم في تحقيق المقصد القرآني.

## منهج البحث:

يسير البحث وفق منهج تحليلي يجمع بين الدراسة النظرية والتطبيقية، مستنداً إلى المراجع التي تناولت هذا الموضوع، ومن خلال هذه الدراسة، أمل أن نضيف إسهاماً علمياً يساعد في فهم عميق لأسلوب القرآن الكريم في تحقيق الترابط بين بدايات السور ونهاياتها.

### الإشكالية:

يهدف البحث إلى دراسة التناسب بين فواتح السور وخواتمها في القرآن الكريم، واتخاذ سورة مريم -عليها السلام- كنموذج لهذا الترابط البلاغي، وتتجلى الإشكالية في كشف العلاقة بين افتتاحية السورة وختامها ومدى تأثير ذلك على فهم مضمونها وتفسيرها، ويسعى البحث للإجابة عن تساؤلات تتعلق بتأثير هذا التناسب في إبراز مقاصد السورة وتوضيح رسائلها الرئيسية.

### الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع فواتح السور وخواتمها في القرآن الكريم، ومن أبرزها:

- رسالة دكتوراه بعنوان: "فواتح سور القرآن الكريم وخواتمها: أنواعها ودلالاتها ومناسباتها"، إعداد: عبدالعزيز بن عبدالله الخضير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٣هـ، تناولت هذه الدراسة أنواع الفواتح والخواتم في القرآن الكريم وعلاقتها بالمقاصد القرآنية.
- رسالة ماجستير بعنوان: "فواتح السور في القرآن الكريم"، إعداد: فاروق حسين محمد أمين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٢هـ، تبحث هذه الدراسة في دلالات الفواتح القرآنية وأثرها في تفسير السور.
- رسالة ماجستير بعنوان: "فواتح السور وخواتمها: دراسة نصية تحليلية"، إعداد: آلاء الحبر يوسف نور الدائم، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٦م، تقدم الرسالة تحليلاً نصياً لفواتح السور وخواتمها، مع التركيز على الأساليب البلاغية المستخدمة.
- رسالة ماجستير بعنوان: "المناسبات بين فواتح السور وخواتمها ما قبلها: دراسة تطبيقية على سور الحواميم"، إعداد: وفاء كمال قلالوة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، ٢٠٢٢م، تبحث هذه الدراسة في العلاقة بين فواتح السور وخواتمها التي تسبقها، مع تطبيق عملي على سور الحواميم.

- مقال علمي بعنوان: "المناسبة الدلالية بين مفتتح السورة القرآنية وخاتمتها، المفهوم والضوابط - هود والقصص نموذجاً"، إعداد: علاء راجح عبد الحميد، يبرز المقال مدى علاقة المفتتح والخاتمة بالمقصد العام للسورة من خلال سورتي هود والقصص، ويقدم تمهيداً عن الوحدة والترابط في السورة القرآنية قديماً وحديثاً.

بالإضافة إلى الدراسات الأخرى التي تناولت هذا الموضوع، فقد اشتملت دراسات أخرى على تطبيق لسور جزء عم، بينما ركزت أخرى على مقارنة بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، مثل الدراسة ما بين سورة الذاريات إلى سورة المرسلات، ومع ذلك، فإن هذه الدراسات تختلف عن موضوع بحثي الحالي، الذي يركز على دراسة سورة مريم -عليها السلام- بشكل دقيق.

#### خطة البحث:

المقدمة: (فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وإشكاليته، والدراسات السابقة، وخطته).

القسم الأول: مفهوم التناسب بين فواتح السور وخواتمها. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التناسب لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أهمية دراسة التناسب في السورة الواحدة وفائدته.

المبحث الثالث: أقوال العلماء في التناسب.

القسم الثاني: التناسب بين فاتحة وخاتمة سورة مريم -عليها السلام-. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف بالسورة وأهميتها.

المبحث الثاني: تحليل مطلع السورة وخاتمتها.

المبحث الثالث: مناسبة مطلع السورة وخاتمتها.

المبحث الرابع: أثر هذا التناسب في فهم السورة واستنباط مقاصدها.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

### القسم الأول : مفهوم التناسب بين فواتح السور وخواتمها . وفيه ثلاثة مباحث :

#### المبحث الأول: تعريف التناسب لغة واصطلاحًا.

إن إدراك التناسب يُسهم في الكشف عن وحدة البناء القرآني، حيث لا تُطرح الآيات بشكل متفرق، بل تأتي وفق ترتيب محكم يحقق الاتساق بين أجزائها، ومن هنا، فإن دراسة مفهوم التناسب لغةً واصطلاحًا تُعد خطوة أساسية لفهم هذه الظاهرة وأثرها في تفسير القرآن الكريم، وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث.

#### أولاً: تعريف التناسب لغةً:

التناسب في اللغة مأخوذ من مادة نَسَبَ، ويُقال: التناسب بين الشيئين إذا كان بينهما علاقة وترابط واتساق<sup>(١)</sup>، وجاء في لسان العرب لابن منظور أن التناسب يدل على التقارب<sup>(٢)</sup>، وأشار الفيروزآبادي في القاموس المحيط إلى أنه يدل على المقاربة والمشاكلة<sup>(٣)</sup>، فالمعنى اللغوي يدور حول التكافؤ بين الأشياء، بحيث يكون بينها انسجامٌ وتوافقٌ معنوي أو مادي.

#### ثانياً: تعريف التناسب اصطلاحًا:

التناسب هو العلاقة بين العناصر المختلفة داخل النص الواحد، بحيث يتحقق الانسجام بين أجزائه لتحقيق غرض معين، وفي الدراسات القرآنية، يُقصد به الترابط بين الآيات والسور، سواء في بداياتها أو نهاياتها، مما يظهر وحدة البناء القرآني ويؤكد اتساق المعاني، وقد أشار العلماء إلى أن التناسب في القرآن الكريم ليس مجرد تتابع لفظي، بل هو علاقة بلاغية عميقة تسهم في فهم المقاصد القرآنية والتفسير الدقيق للآيات، يقول البقاعي عندما تكلم عن مناسبات القرآن الكريم: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما

(١) ينظر: الأزهرى، محمد بن أحمد الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨. (١٢/١٣)، الزنجشيري، جار الله، محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم (ت: ٥٣٨هـ): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢، (٢/٢٦٥).

(٢) ينظر: جمال الدين ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ١٥، (١/٧٥٦).

(٣) ينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١، (١/١٣٧).

اقتضاه الحال<sup>(٤)</sup>، وقال ابن العربي: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني<sup>(٥)</sup>، وقال الجرجاني: هو المعنى الرابط بين الآيات، عام أو خاص، عقلي أو حسي، خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، النظيرين والقيدتين ونحوه<sup>(٦)</sup>.

المبحث الثاني: أهمية دراسة التناسب في السورة الواحدة وفائدته.

تُعد دراسة التناسب في السورة الواحدة من القضايا المهمة في علوم القرآن الكريم، لما لها من أثر بالغ في فهم المعاني واستنباط الدلالات القرآنية، ويمكن تلخيص أهمية هذه الدراسة وفوائدها في النقاط التالية:

#### أهمية دراسة التناسب في السورة الواحدة:

- الكشف عن وحدة البناء القرآني: يُظهر التناسب أن السورة ليست مجرد مجموعة من الآيات المتفرقة، بل هي وحدة متكاملة تتداخل فيها المفاهيم والمعاني بطريقة محكمة.
- إبراز الترابط الموضوعي والبلاغي: تساعد دراسة التناسب في إدراك كيف تتدرج وترابط الأفكار داخل السورة من بدايتها إلى نهايتها، مما يعكس روعة النسق القرآني في عرض الموضوعات بأسلوب مترابط.
- توضيح المقصد العام للسورة: التناسب بين الفواتح والخواتم يُساهم في توضيح المقصد الذي تريد السورة إيصاله، مما يساعد في فهم أعمق للسياق القرآني.
- إثراء الدراسات التفسيرية: يُمكن لهذه الدراسة أن تقدم إضافة علمية للتفسير الموضوعي للسور، من خلال إبراز العلاقات الداخلية بين الآيات وتحليلها في إطار موحد.

(٤) ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: ٨٨٥هـ): مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ، وَيُسَمَّى: "المَقْصِدُ الْأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلْمُسَمَّى"، مكتبة المعارف - الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٣، (١/ ١٤٢).

(٥) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ): الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، عدد الأجزاء: ٤، (٣/ ٣٦٩).

(٦) ينظر: الجرجاني الدار، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، أبو بكر، (ت: ٤٧١هـ): دَرْجُ الدُّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْأَيِّ وَالسُّورِ، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمير، الناشر: دار الفكر - عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، عدد الأجزاء: ٢، (٢/ ٥٢).

### فوائد دراسة التناسب في السورة الواحدة:

- تحقيق تدبر أكثر عمقاً للنص القرآني: يُسهّم التناسب في إبراز الإعجاز البلاغي الذي يدعو القارئ إلى التأمل والتدبر في معاني السورة.
- المساعدة في استنباط الأحكام والتوجيهات الإلهية وفهم السرد القصصي: إذ أن فهم العلاقة بين الآيات يُساعد في فهم السياق الفقهي أو التشريعي أو السرد القصصي داخل السورة.
- دعم الدراسات المتعلقة ببلاغة السياق القرآني: إذ يظهر كيف أن ترتيب الآيات والصور ليس عشوائياً، بل يعتمد على نظام دقيق يُجسد الإعجاز في النظم والتسلسل.

### المبحث الثالث: أقوال العلماء في التناسب.

قال السيوطي: "وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته"<sup>٧</sup>، وقد أشار الرازي إلى أهمية التناسب في القرآن الكريم بقوله: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"<sup>٨</sup>، كما أكد ابن العربي على قوة الترابط بين آيات القرآن الكريم، حيث قال: "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم"<sup>(٩)</sup>، وهو ما ذهب إليه الجرجاني أيضاً في ذلك، إذ قال: "القرآن الكريم كتاب الله تعالى، أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منجماً على فترة من الزمن، امتدت ثلاثة عشر عاماً، ولكن هذا الكتاب ليس كباقي الكتب، فإنه وحدة واحدة متماسكة مترابطة، يأخذ بعضها بحجز بعض، فلا يجد القارئ لآياته اختلافاً بينها نتيجة لهذا الوقت"<sup>(١٠)</sup>، أما الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فقد أشار إلى أن "المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا

٧ ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٣/٣٦٩).

٨ ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ٣٢. (١٠/١١٣).

(٩) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٣/٣٦٩).

(١٠) ينظر: الجرجاني، درج الدرر، (٢/٥٢).

يتأتى ربط بعضه ببعض<sup>١١</sup>، وتناول الشيخ ولي الدين الملوي مسألة التناسب، فقال: "قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفارقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقى له"<sup>١٢</sup>، وقال الإمام الرازي عند حديثه في تفسير سورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته"<sup>(١٣)</sup>.

### القسم الثاني: التناسب بين فاتحة وخاتمة سورة مريم - عليها السلام -.

القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وهو الكتاب الذي يحمل بين دفتيه الهداية والنور لكل من يتأمل في آياته، وتأتي السور القرآنية بوصفها وحدات متكاملة تحمل رسائل إلهية متنوعة، تتدرج بين العقيدة، والتشريع، والأخلاق، والقصص، والمواعظ، مما يجعلها ذات أهمية كبيرة في حياة المسلمين.

ومن بين هذه السور التي تتميز بترائها الموضوعي سورة مريم، التي تجسد بوضوح أحد أبرز أوجه التناسب في القرآن الكريم، حيث تعرض مشاهد من حياة عدد من الأنبياء بأسلوب متسلسل ومحكم يُبرز الترابط بين القصص والعبر المستنبطة منها.

١١ ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، التفسير البسيط، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢٥. (٢٩٥/١).

١٢ الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤ هـ)، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، عدد الأجزاء: ٤. (٣٧/١).

(١٣) ينظر: السيوطي، الإقتان في علوم القرآن، (٣/٣٦٩)، وكذا ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، أسرار ترتيب القرآن، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ١. (١/٣-٩).

### المبحث الأول: تعريف بالسورة وأهميتها.

سورة مريم هي إحدى السور المكية التي نزلت لتثبيت العقيدة الإسلامية وإبراز مظاهر الرحمة الإلهية، فهي تتناول قصص عدد من الأنبياء، ومنهم زكريا ويحيى وعيسى وموسى وإبراهيم - عليهم السلام - مما يعكس وحدة الرسالة الإلهية عبر التاريخ، وقد افتتحت السورة بذكر دعاء زكريا - عليه السلام - واستجابة الله له، وهو ما يؤكد أهمية الدعاء والثقة في رحمة الله، كما تتميز السورة بإبراز علاقة الإنسان بربه من خلال مشاهد العقيدة والتوحيد التي تتكرر عبر آياتها، مما يعمق الإيمان ويعزز مفهوم العبودية لله.

وتكتسب السورة أهمية خاصة لكونها تضمنت أولى الإشارات إلى ولادة النبي عيسى - عليه السلام - بأسلوب مميز، مما كان له دور كبير في الحوار بين الإسلام والديانات الأخرى، كما تؤكد السورة على البعث والحساب، وتختتم ببيان رحمة الله بالعباد مع التحذير من الانحراف عن طريق الحق، لذا، فإن سورة مريم تعد نموذجاً متكاملًا من حيث البناء الموضوعي، حيث تجمع بين العقيدة والقصص القرآني والوعظ بأسلوب فريد ومؤثر.

### المبحث الثاني: تحليل مطلع السورة وخاتمتها.

**مطلع السورة:** تبدأ السورة بالحروف المقطعة "كهيعص"، وهو افتتاح يحمل طابعاً مبهرًا يلفت انتباه القارئ ويثير التأمل في معانيه، ثم ينتقل السياق مباشرة إلى ذكر دعاء زكريا - عليه السلام - حيث يتجلى معنى الحاجة والافتقار إلى الله، فزكريا يدعو ربه متوسلاً بضعفه وحاجته ويطلب الذرية الصالحة رغم تقدمه في السن.

والظاهر الجلي أن الرسائل الأساسية في مطلع السورة تتمحور حول:

- التأكيد على رحمة الله واستجابته للدعاء: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢] حيث أظهرت الآيات كيف أن الله استجاب لدعاء زكريا ورزقه يحيى - عليها السلام -.

- إبراز مفهوم الصبر واليقين: إذ أن زكريا رغم كبر سنه لم يفقد الأمل في رحمة الله ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

- ربط البداية بمضمون السورة وعناونها: السورة ستتناول لاحقاً ميلاد عيسى - عليه السلام - بطريقة مميزة، وبالتالي هناك تمهيد بفكرة الولادة العجيبة والمعجزة من خلال قصة زكريا ويحيى.
- خاتمة السورة: ثم تختتم السورة بمواضيع مترابطة تتمثل في التحذير من إنكار البعث، وبينت تقرير مصير الكافرين والمؤمنين، كما تؤكد الآيات على رحمة الله بعباده، حيث يختتم الله السورة بتذكير بأن القرآن جاء للتذكير والهداية.
- والرسائل الأساسية في خاتمة السورة تدور حول:
- التحذير من العقائد الباطلة: فقد أنكر القرآن إنكاراً شديداً لمن ادعى الله الولد وأنه ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢].
- تأكيد الوعد الإلهي بالبعث والجزاء: إذ يتم التحذير من الإنكار والتشكيك في اليوم الآخر فالجميع ﴿وَكُلُّهُمْ عِندَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].
- إبراز علاقة الإنسان بخالقه: حيث يظهر مدى رحمة الله بعباده من خلال الدعوة إلى الإيمان وذكر مصير أهله أنه ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

#### المبحث الثالث: مناسبة مطلع السورة وخاتمتها.

- المتأمل في مطلع سورة مريم وخاتمتها يجد أن هناك ترابطاً محكماً بين موضوعاتها، وحاولت جاهداً استنباطها وذكرها بشكل نقاط وهي:
- افتُتحت السورة بـ ﴿كَهَيَّعَ﴾ وطائفة من العلماء يرون أن الأحرف المقطعة تدل على إعجاز القرآن بدليل أن غالبها يأتي بعدها مباشرة آيات تتكلم عن عظمة القرآن، فناسب في خاتمة السورة الحديث عن كلام الله الكريم وبيان الهدف منه ﴿فَاتَّخَذَ مِنْهُ بِلْسَانِكِ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، مما يربط بين إعجاز القرآن وموضوعات السورة.
- عندما ذكر الله عباده المؤمنين من الأنبياء بدأ بزكريا -عليه السلام- في بداية السورة، ناسب في خاتمتها أن يذكر مصيرهم ومآلهم ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، مما يعزز الترابط بين الثواب والجزاء.

- تناولت السورة في بدايتها حال المؤمنين فقد خلد الله ذكرهم بما بينه من قصصهم، فكان من المناسب أن تحتتم السورة بذكر حال المعاندين والعاقبة التي تنتظرهم، حيث يهلكهم الله ويزول أثرهم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُخِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].
- ذكرت رحمة الله في بداية السورة، فالخير والهدى والرحمة كلها من لدن الله ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾، وذكر في خاتمة السورة ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] فمن اتخذ من دونه إلهاً هل تشمله رحمة الرحمن؟ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]، فتوزهم الشياطين حتى يكون مصيرهم إلى جهنم يساقون إليها.
- ذكر في أولها رحمته بعيد من عباده وهو سيدنا زكريا: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢]، وفي آخرها ذكر رحمته بعباده المؤمنين جميعاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].
- بشر في أولها عبداً من عباده وهو زكريا: ﴿بَشِّرْ زَكَرِيَّا إِنَّ نَبِيَّكِ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَسْحَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]، وبشر في آخرها عباده المتقين: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٧٩].
- بين في بداية السورة من لا يملك الولد واستجابة الله له، فناسب في خاتمتها ذكر من ادعى لله الولد، وهو أمر منكر، فلو كان الله يحتاج لولد لأوجده لنفسه كما أوجد يحيى من زكريا.
- تبدأ السورة بمشهد الرحمة الإلهية في استجابة دعاء زكريا، وتنتهي بمشهد الرحمة والإنذار في مصير العباد.
- الوحدة الموضوعية بين البداية والنهاية، حيث تبدأ بالحديث عن ولادة يحيى وعيسى، وتنتهي بإقرار مصير الأمم وفق أعمالهم.

- من المناسبات بين مطلعها وخاتمتها أن في بداية السورة تم ذكر عباد الله الطائعين، ثم أعقب ذلك ذكر العصاة المعاندين المكذبين، وبين في ثناياها من هو ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦] ١٤.
- الرحمة ممتدة من بداية السورة إلى نهايتها، حيث تكرر جذر لفظ رحم في السورة في ٢٠ موضع، مما يعكس وحدة الموضوع.
- وهذا يتجلى التناسب في سورة مريم بين مطلعها وخاتمتها بأسلوب متقن يعكس وحدة البناء القرآني.

المبحث الرابع: أثر هذا التناسب في فهم السورة واستنباط مقاصدها.

يظهر في سورة مريم ارتباط وثيق بين مطلعها وخاتمتها، حيث تُفتَح بإبراز رحمة الله واستجابته لدعاء عباده الصالحين، وتُختَم بتأكيد التوحيد وإنكار الادعاء الباطل بأن الله ولد، وهذا التناسب يعكس وحدة البناء القرآني، ويؤكد أن ترتيب الآيات قائم على حكمة إلهية متقنة تسهم في إيصال المعاني بشكل متكامل.

كما أن السورة تبرز مكانة المؤمنين وبركة ذكرهم في بدايتها، ثم تختتم ببيان مصير المكذبين والعاقبة التي تنتظرهم، مما يعكس التوازن بين الوعد والوعيد في الطرح القرآني، وهذا الربط المحكم بين البداية والنهاية يُظهر الإعجاز البلاغي، ويؤكد المحور الأساسي للسورة في بيان سنن الله في خلقه وحكمته في تقدير الأمور.

ثم إن تأمل هذا التناسق العميق لا يساعد فقط في فهم مقاصد السورة، بل يفتح آفاقاً جديدة في إدراك الإعجاز البلاغي والتشريعي للقرآن الكريم، ويعزز فهم ترتيب الآيات في السورة الواحدة بما يحقق الوحدة الموضوعية، ويمكن ذكر أبرز الجوانب التي تقيس أثر هذا التناسب وبيان استنباط مقاصدها على النحو التالي:

- إبراز وحدة البناء القرآني: إذ يكشف التناسب عن الترابط بين الموضوعات المطروحة، مما يساعد في فهم السورة ككيان متكامل وليس مجرد مجموعة من الآيات المتفرقة.

١٤ أشار لمثلها ابن عاشور. ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ):

التحرير والتنوير المسمى: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠. (١٧٤ / ١٦).

- توضيح مقصد السورة الرئيسي: حيث يظهر من التناسب بين البداية والنهاية أن السورة تتمحور حول الرحمة الإلهية والتوحيد، فهي تبدأ برحمة الله بعباده وتنتهي بتقرير التوحيد والتحذير من نسبة الولد لله.
  - تعزيز فهم الروابط الموضوعية: التناسب يوضح العلاقة بين قصص الأنبياء التي وردت في السورة، بحيث يُظهر كيف أن جميعها تصب في إبراز قدرة الله وإرادته في التدبير والخلق.
  - الاستنباط المعرفي والعقدي: يسهل التناسب استخراج الدلالات العقدية، مثل التأكيد على عقيدة التوحيد، وبيان عاقبة المكذبين، وفضل المؤمنين الذين يستجيب الله لهم.
  - إدراك الإعجاز البلاغي: حيث يُبرز التناسب جمال النسق القرآني في ترتيب الموضوعات بطريقة دقيقة تحمل معاني متعددة، فتبدأ السورة بالحروف المقطعة التي تلفت الانتباه لكلام الله وتنتهي بتأكيد الهدف من إنزال القرآن.
- وهذا الترابط بين الآيات يجعل تفسير السورة أكثر عمقاً ويساعد القارئ على تدبرها وفق رؤية شاملة ومتكاملة.

### الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. فبعد إتمام هذا البحث في التناسب بين مطلع سورة مريم وخاتمتها، تبين لنا أن ترتيب الآيات في السورة الواحدة قائم على حكمة إلهية متقنة تهدف إلى تعزيز فهم المقاصد الشرعية والعقدية، وقد أظهر البحث كيف أن السورة بدأت بإبراز الرحمة الإلهية واستجابة الدعاء، ثم اختُتمت بتأكيد التوحيد وإنكار نسبة الولد إلى الله، مما يعكس وحدة البناء القرآني وأسلوب التوازن بين الوعد والوعيد.

#### أهم النتائج:

- التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها يعكس وحدة الموضوع وترباط القضايا المطروحة فيها.
- تسهم هذه الوحدة في توضيح رسالة السورة الأساسية، والتي تدور حول الرحمة الإلهية، التوحيد، والجزاء الأخروي.
- التناسب بين ذكر عباد الله الصالحين في البداية، وذكر مصير المكذبين في النهاية؛ يبرز قيمة الإيمان وآثاره.
- العلاقة بين الحروف المقطعة في المقدمة، وخاتمة السورة التي تتحدث عن كلام الله، والهدف توكيد إعجاز القرآن وبلاغته.
- تأمل هذا التناسب يساعد في فهم عميق لمعاني السورة ويُسهّم في تدبر الآيات وفق رؤية متكاملة.
- أن جذر لفظ رحم في السورة تكرر في ٢٠ موضع، مما يعكس وحدة الموضوع.

#### أهم التوصيات:

- ضرورة التأمل في التناسب بين الآيات في السورة الواحدة لفهم دقيق وعميق لمعاني القرآن الكريم.
- تعزيز دراسات الإعجاز البلاغي والموضوعي في القرآن لإبراز جوانب التناسق والتكامل بين الآيات.
- ترسيخ دراسة التفسير الموضوعي الذي يبحث في العلاقة بين بداية السور وخواتمها لفهم مقصد السورة بشكل متكامل.

- التأكيد على أهمية التدبر في القرآن الكريم لفهم المقاصد العقدية والتشريعية فيه، والاستفادة منها في تطبيق تعاليم الإسلام.
  - الاهتمام بدراسة الترتيب القرآني بوصفه جزءاً من إعجاز القرآن، وبيان الحكمة الإلهية في تقديم وتأخير المواضع.
- وبذلك نختم هذا البحث، سائلين الله أن ينفع به ويجعله سبباً في تدبر آياته وفهم معاني كتابه العظيم.

### فهرس المصادر والمراجع

١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
٢. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير المسمى: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ، عدد الأجزاء: ٣٠.
٣. الأزهرى، محمد بن أحمد الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.
٤. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: ٨٨٥هـ): مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ، وَيُسَمَّى: "الْمَقْصِدُ الْأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلْمُسَمَّى"، مكتبة المعارف - الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٣.
٥. الجرجاني الدار، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، أبو بكر، (ت: ٤٧١هـ): دُرُجُ الدُّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرخان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمير، الناشر: دار الفكر - عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، عدد الأجزاء: ٢.
٦. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ٣٢.
٧. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، عدد الأجزاء: ٤.
٨. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، التفسير البسيط، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ، عدد الأجزاء: ٢٥.
٩. جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ): الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، عدد الأجزاء: ٤.
١٠. جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، أسرار ترتيب القرآن، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ١.

١١. الزمخشري، جار الله، محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم (ت: ٥٣٨هـ): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢.
١٢. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١.

### Romanization of references

1. Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din ibn Manzur al-Ansari al-Ruwai'fi al-Ifriqi (d. 711 AH): *Lisan al-Arab*, Dar Sadir - Beirut, 3rd ed., 1414 AH, 15 parts.
2. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir ibn Muhammad ibn Muhammad al-Tahir ibn Ashur al-Tunisi (d. 1393 AH). *Al-Tahrir wa al-Tanwir*, also known as *Tahrir al-Ma'na al-Sadid wa Tanwir al-'Aql al-Jadid min Tafsir al-Kitab al-Majid*. Tunisian Publishing House – Tunisia, 1984 AH. 30 volumes.
3. Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad al-Harawi, Abu Mansur (d. 370 AH): *Tahdhib al-Lughah*, edited by Muhammad Awad Mar'ab, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi - Beirut, 1st ed., 2001 AD, 8 parts.
4. Al-Baq'a'i, Ibrahim ibn Umar ibn Hasan al-Ribat ibn Ali ibn Abi Bakr (d. 885 AH): *Masa'id al-Nadhr li-Ishraf 'ala Maqasid al-Suwar*, also called: "The Supreme Objective in the Matching of the Name of Each" A Surah for the Named One, Maktabat al-Ma'arif - Riyadh, 1st ed., 1408 AH - 1987 CE, 3 parts.
5. Al-Jurjani al-Dar, Abd al-Qahir ibn Abd al-Rahman ibn Muhammad al-Farsi al-Asl, Abu Bakr (d. 471 AH): *Darj al-Durar fi Tafsir al-Ayah wa al-Suwar* (The Staircase of Pearls in the Interpretation of Verses and Surahs), first part edited by Tal'at Salah al-Farhan, second part edited by Muhammad Adeeb Shukur Amrir, publisher: Dar al-Fikr - Amman, Jordan, first edition, 1430 AH - 2009 CE, 2 parts.
6. Al-Razi, Fakhr al-Din Muhammad ibn 'Umar al-Tamimi al-Razi al-Shafi'i (d. 606 AH). *Mafatih al-Ghayb*. Dar al-Kutub al-'Ilmiyya – Beirut, 1421 AH / 2000 CE, first edition. 32 volumes.
7. Al-Zarkashi, Abu 'Abd Allah Badr al-Din Muhammad ibn 'Abd Allah ibn Bahadir al-Zarkashi (d. 794 AH). *Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an*, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyya 'Isa al-Babi al-Halabi wa Shuraka'uh, first edition, 1376 AH / 1957 CE. 4 volumes.
8. Al-Wahidi, Abu al-Hasan 'Ali ibn Ahmad ibn Muhammad ibn 'Ali al-Wahidi al-Naysaburi al-Shafi'i (d. 468 AH). *Al-Tafsir al-Basit*. Research Department – Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, first edition, 1430 AH. 25 volumes.
9. Jalal al-Din al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abu Bakr (d. 911 AH): *Al-Itqan fi Ulum al-Qur'an* (The Perfection in the Sciences of the Qur'an), edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, publisher: Egyptian General Book Authority, edition: 1394 AH/1974 CE, 4 parts.
10. Jalal al-Din Al-Suyuti, Jalal al-Din 'Abd al-Rahman ibn Abi Bakr Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH). *Asrar Tartib al-Qur'an*. Dar al-Fadila lil-Nashr wa al-Tawzi'. 1 volume.
11. Al-Zamakhshari, Jar Allah, Mahmud ibn Amr ibn Ahmad, Abu al-Qasim (d. 538 AH): *The Foundation of Rhetoric*, edited by Muhammad Basil Ayun al-Sud, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1419 AH - 1998 CE, 2 parts.

12. 7. *Al-Fayruzabadi, Majd al-Din Abu Tahir Muhammad ibn Ya'qub Majd al-Din Abu Tahir Muhammad ibn Ya'qub (d. 817 AH): Al-Qamus al-Muhit, edited by the Heritage Research Office at the Al-Risala Foundation, under the supervision of Muhammad Na'im al-Arqasusi, Al-Risala Foundation for Printing, Publishing, and Distribution, Beirut, Lebanon, 8th ed., 1426 AH - 2005 CE, 1 part.*